# اتّق المحارم تكن أعبد الناس (4)

إخوة الإيمان:

أوصيكم ونفسي أولا بتقوى الله تعالى، والمتّقونَ إخوَةَ الإيمانِ هُمُ الذينَ يقومونَ بِحُقوقِ اللهِ وحُقوقِ العِبادِ، هُمُ الذينَ أَدَّوا مَا افْتَرَضَ اللهُ عليهِمْ واجْتَنَبُوا ما حَرَّمَ عليهِمْ وعامَلُوا العِبادَ مُعامَلَةً صَحيحَةً مُوافِقَةً لِشَرْعِ اللهِ.

عباد الله: نحن اليوم....مع الخَصلة الخامسة من الوصايا الخمس، وهي قوله صلى الله عليه وسلم: ....وَلاَ تُكْثِرِ الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ، فكثرة الضّحك والمُزاح تُميتُ القلب أي تصيره مغمورا في الظلمات بمنزلة الميت الذي لا ينفع نفسه بنافعة، ولا يدفع عنها شيئا من مكروه، وموته ظلمته، وهي مادة كل شر، وبحياته تكون قوته وسمعه وبصره وتصور المعلومات وحقائقها على ما هي عليه، وموت القلب هو أصل فساده، لذا قال صلى الله عليه وسلم في حديث آخر: وإياك وكثرة الضحك فإن كثرة الضحك فساد القلب، [صحيح الجامع]أي أن كثرة الضحك تورث قسوة القلب، والإفراط فيه يورث الانغماس في اللهو والغفلة عن الآخرة، وإذا كان الإسلام يكره الغلو والإسراف في كل شي ولو كان في العبادة؛ فكيف باللهو والمرح والمزاح؟!إذ من الصغائر ما يصير كبيرة بالإصرار، ومن الكبائر ما يصير صغيرة بالاستغفار، فلا ينبغي أن يُغفل عن هذا، والضّحك من خصائص الإنسان، فالحيوانات لا تضحك؛ لأنّ الضّحك يأتي بعد نوع من الفهم والمعرفة لقول يسمعه، أو موقفٍ يراه فيضحك منه، وكثرة الضّحك تورثُ ظلمةً في القلب وموتًا له، والإسلام بوصفه دين الفطرة لا يُتصوّر منه أن يُصادِر نُزوع الإنسان الفطريّ إلى الضّحك والانبساط ، بل هو على العكس يرحّب بكل ما يجعل الحياة باسمةً طيّبةً، ويُحِبُّ للمُسلم أن تكون شخصيته متفائلة ويكره الشّخصية المكتئبة المتطيّرة، المتشائمة التي لا تنظر إلى الحياة إلا من خلال منظارٍ قاتمٍ أسود، وأسوةُ المسلمين في ذلك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقد كان برغم همومه الكثيرة والمتنوّعة يضحك ويمزح ولكن لا يقول إلا حقًا ، ويحيا مع أصحابه حياة فطريّة عاديّة ، يشاركهم في ضَحِكهم ولَعبهم ومُزاحهم، كما يشاركهم آلامهم وأحزانهم ومصائبهم، وكان صلي الله عليه وسلم يحب إشاعة السرور والبهجة في حياة الناس، وخصوصًا في المناسبات مثل الأعياد والأعراس، ولذا فإن المنهي عنه في هذا الحديث ليس مجرد الضّحك، بل كثرته، فليس الضّحك منهيٌّ عنه لذاته، ولكن لما يُمكن أن يؤدّي إليه من نتائج وأخلاق لا يرضاها الإسلام، وألا يكون مبناه على الكذب والاختلاق؛ وهذا قطعاً لا يصح فقد قال صلي الله عليه وسلم: وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ، وَيْلٌ لَهُ، وَيْلٌ لَهُ، وكما يُقال: كلُّ شيءٍ خرج عن حدّه انقلب إلى ضده، فالضَّحِكُ المُبالَغُ فيه لا يجوز، كالذي يُكثِرُ منه صاحِبُهُ؛ فيَتَسبَّبَ في غَفْلَتِهِ عن الاسْتِعْدادِ للمَوْتِ وما بعد الموت من الأَهْوالِ التي هو قادِمٌ عليها؛ وألا يكون الضحك في موضعٍ يستوجب الجِدَّ أو البكاء، فلقد رآى ابنُ مسعود رضي الله عنه رجلًا يضحك في جِنازة فتَرَّب عليه، أي لاَمَهُ، وعَيَّرَهُ، ووَبَّخَهُ عَلَى ضحكه في المقبرة-فقال له: أتضحك وأنت تتبع جنازة! والله لا أكلمك أبدًا، فالمطلوب الاعتدال والتوازن والتوسط مع مراعات الزمان والمكان؛ ويبقى أن كثرةَ الضحك تُميت القلبَ كما جاء في هذا الحديث، يعني كَثْرَةُ الضَّحِكِ فَسادُ القَلْبِ، أي: تُميتُهُ إنْ كان حَيًّا، ويَزيدُ اسْوِدادًا إنْ كان مَيِّتًا، وموْتُ القَلْبِ هو خُلُوُّهُ عن ذِكْرِ اللهِ وإنارَتُهُ بحُبِّهِ وتَعْظيمِهِ وخَوْفِهِ ورَجائِهِ ، وما جاء عن الرسول صلي الله عليه وسلم وأصحابِه أحق أن يُتبع، وهو يمثل التوازن والاعتدال وقد قال لحنظلة حين فزع من تغير حاله في بيته عن حاله مع رسول الله صلي الله عليه وسلم-، واتهم نفسه بالنفاق، فقال له: يا حنظلة لو دمتم علي الحال التي تكونون عليها عندي لصافحتكم الملائكة في الطرقات، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة، وهذه هي الفطرة، وهذا هو العدل، ولا ريب أن هناك من الحكماء والأدباء والشعراء من ذم المزاح، وحذر من سوء عاقبته، ونظر إلي جانب الخطر والضرر فيه، وأغفل الجوانب الأخرى، قال بعضهم: المزاح مجلبة للبغضاء ، مثلبة للبهاء، مقطعة للإخاء، وقيل: إذا كان المزاحُ أولَ الكلام كان آخرُه الشتم واللكام، فالمُزاحُ المنهيُّ عنه يورِثُ الضَّحِكَ وقَسوةَ القَلبِ، ويشغَلُ عن ذِكرِ اللهِ، والفِكرِ في مُهِمَّاتِ الدِّينِ، وقيل: المُزاح أوله فرح، وآخره ترح، وهو نقائص السفهاء مثل نقائص الشعراء، والمزاح فحل لا يُنتج إلا الشر، أيها المسلمون: علينا أن نعلم يقينا أن هذه الحياة الدنيا أيام وسويعات ما تلبث أن تنقضي وتذهب بسرعة، وفجأة يجد العبد نفسه موقوف بين يدي الجبار سبحانه وتعالى الذي يعلم السر وأخفى، فيسأله عن شبابه فيما أبلاه، وعن عمره فيما أفناه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه....؟ويسأله ربه وهو أعلم به، ماذا عمل بأوامر القرآن والسنة ونواهيها، هل أطاع الأوامرَ وترك الزواجرَ، أم ارتكب الحرامَ، وترك الحلال،

فيا أيها الناس: إن الله سائلنا يوم الوقوف بين يديه سبحانه لا محالة، فأعدوا للسؤال جواباً، وللجواب صواباً، فلابد من تقوى الله في العبادات والمعاملات، وخشيته في الغيب والشهادة، والخوفِ منه سبحانه فهو مطلع على السرائر والضمائر، كما يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ففي الحديث: واللهِ لو تَعلمونَ ما أعْلَمُ لضَحِكْتُمْ قليلًا و لبَكَيتُمْ كثيرًا، وما تَلَذَّذْتُمْ بالنساءِ على الفُرُشِ، ولَخَرَجْتُمْ إلى الصَّعُدَاتِ تَجْأَرونَ إلى اللهِ، أي: تتضرَّعون إلى اللهِ أن يُنجِّيَكم ويَغفِرَ لكم ويَعفُوَ عنكم، [سنن الترمذي وابن ماجه، وأحمد]والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

**خطبة الجمعة ليوم 12 يناير 2024 م**